

العلاقة التبادلية بين الأسواق الشعبية والتراث الثقافي في منطقة الوادي الأبيض:
دراسة أنثروبولوجية

The reciprocal relationship between Popular Markets (Suqs) and
Cultural Heritage in the Ouad Al-Abiadh Region: An
Anthropological Study

تاريخ النشر: 2025/04/25

تاريخ القبول: 2025/04/07

تاريخ الإرسال: 2024/12/31

رفيق بلعيد¹، نورالدين جفال²

¹ مخبر التغير الاجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر، جامعة بسكرة، الجزائر،

EMAIL : rafiq.belaidi@univ-biskra.dz

² جامعة تبسة، الجزائر، EMAIL : djeffalnouredine@gmail.com

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل العلاقة التبادلية بين الأسواق الشعبية والتراث الثقافي في منطقة الوادي الأبيض، حيث تمثل الأسواق فضاء ديناميكية يجمع بين الممارسات الثقافية والتفاعلات الاجتماعية. استخدمت الدراسة المنهج الإثنوغرافي، من خلال الملاحظة بالمشاركة والمقابلات المفتوحة، لفهم كيفية حفاظ هذه الأسواق على عناصر التراث الثقافي المحلي.

خلصت الدراسة إلى أن الأسواق الشعبية فضاء اقتصادي وثقافي. تساهم في حفظ عناصر مختلفة من التراث الثقافي، وتعمل على تناقل المعارف التقليدية، والتعبير عن الهوية الثقافية، وتعزيز الروابط الاجتماعية من خلال التفاعل بين البائعين والتجار.

الكلمات المفتاحية: التراث الثقافي، التبادل الثقافي، إثنوغرافيا الأسواق، الأسواق الشعبية، الوادي الأبيض.

المؤلف المرسل: رفيق بلعيد، الإيميل: rafiq.belaidi@univ-biskra.dz

Abstract:

This paper explores the reciprocal relationship between cultural heritage and popular markets (Suqs) in the Ouad Al-Abiadh region, recognizing these markets as cultural products of the local community and expressions of their cultural identity. The study employs an ethnographic approach, utilizing participant observation and open interviews to understand the dynamics at play.

The findings suggest that the markets preserve various elements of local heritage and facilitate cultural exchange and interaction, offering a space for individuals to share and transmit their inherited knowledge, stories, and experiences. These markets play a vital role in maintaining emotional and social ties, as they act as hubs where cultural practices are preserved and transformed.

Keywords: Cultural heritage; Cultural Exchange; Ethnography of Markets; Popular markets; Ouad Al-Abiadh.

1. مقدمة:

اهتمت الأنثروبولوجيا بدراسة التراث الثقافي للشعوب، لفهم ميكانيزماتها الثقافية ومختلف تصوراتها، وما يمثله هذا التراث بالنسبة إليهم كون هذه المجتمعات قد حافظت عليه، وألفت ممارسته وحياءه وأصبح جزءا من الوعي الجمعي، بل وتجاوز ذلك ليصبح متجذرا في اللاوعي. فصار التراث مرتبطا بهوية الشعوب وتاريخها، كاشفا الستار عن الحياة المعيشية التي كانت تشهدا الجماعات على المستوى الثقافي، الإقتصادي، الإجتماعي، الديني، وتبنته الشعوب اللاحقة كمرجعية وأسلوب حياة مميز لخصوصيتها الثقافية بفضل تنوعه الذي مكّنه من التداخل مع مختلف جوانب الحياة.



إن الإهتمام الأنثروبولوجي بظاهرتي التراث الثقافي والتبادل السلعي، مكن من خلق حلقة وصل بينهما، فلم يعد التبادل منحصرًا على الأدوات المادية، أو لهدف تحقيق منفعة اقتصادية بحتة، بل هناك جوانب ثقافية ورمزية قد تسود عملية التبادل، مهمشة النمط المادي الظاهري. إذ تعتبر الأسواق الشعبية أحد الفضاءات التي جمعت بين التبادل الثقافي، الاجتماعي والإقتصادي، والمنفردة بديناميكيتها التي تمكّنها من استيعاب التنوع الثقافي وأداء عدة أدوار ضمن المجتمعات المحيطة بها.

وتحت مبدأ الاستيعاب هذا، تشهد الأسواق الشعبية في منطقة الوادي الأبيض بالأوراس تنوعًا ثقافيًا كبيرًا على المستوى المادي للسلع المعروضة فيها أو على المستوى اللامادي لتلك الممارسات والمعارف التقليدية المتوارثة المشكّلة لثقافة الأسواق التي اتسمت بطابعها الثقافي، الاجتماعي والإقتصادي. ويبرز ذلك من خلال سوق الخريف الموسمي وسوق الثلاثاء الأسبوعي، المختلفان في طبيعتهما الزمنية، ومتشابهان في نمطهما التراثي وقيمتيهما الرمزية والاجتماعية. إذ تعتبر مقصداً شعبياً لمختلف الإثنيات المحيطة بها كونها تحقق حاجات الأفراد، وتخدم التجارب الاجتماعية والثقافية والوجدانية، التي تتم في بيئة تفاعلية رمزية. تجمع بين الماضي والحاضر، وتزواج بين الحداثي والتقليدي، وتبرز وضعيات الفاعلين فيها.

اهتم أهل المنطقة بالتوافد على هذه الأسواق الشعبية لغرض التبادل الاجتماعي، الثقافي والإقتصادي، ولم تتوقف مهمة هذه الأسواق على التبادل بل هي فضاء ثقافي غني بالرموز الثقافية والعناصر التراثية الحاملة لدلالات مختلفة، يبرزها التفاعل المستمر والتواصل الثقافي لمختلف الفاعلين بينهم. وهذا ما يستدعي الوقوف على فهم مخرجات هذا التواصل بين الفاعلين وتراثهم الثقافي ضمن هذه الأسواق التراثية، وهذا بطرح التساؤل التالي: ماهي العلاقة المتبادلة بين الأسواق الشعبية والتراث الثقافي في منطقة الوادي الأبيض؟

وتتفرع تحته ما يلي:

1. ماهي علاقة الأنثروبولوجيا بموضوع التراث الثقافي؟
2. كيف أصبح موضوع الأسواق الشعبية محل اهتمام الأنثروبولوجيا؟

3. ما هي الأبعاد الثقافية، الاجتماعية، والاقتصادية التي تربط الأسواق الشعبية

بالتراث الثقافي في الوادي الأبيض؟

تهدف الدراسة لفهم الدور المتبادل بين التراث الثقافي والأسواق الشعبية في حفظ الثقافة المحلية لمجتمعات الوادي الأبيض. وكذلك موقف الأنثروبولوجيا من موضوع التراث والسوق باعتبارهما ظاهرتين ثقافيتين.

للإجابة على هذه الإشكالية وتحقي أهداف الدراسة تم إجراء دراسة أنثروبولوجية استغرقت مدة عام في كل من سوق الثلاثاء بمدينة إشمول وسوق عيد الخريف بمدينة تكوت الواقعين بالوادي الأبيض بجنوب باتنة. حيث تم الاعتماد على المنهج الإثنوغرافي لوصف بنية الأسواق الشعبية المدروسة ونوعية البضاعة المعروضة فيه والممارسات الموجودة على مستواها، والتعرف على التبادل الاقتصادي والاجتماعي والثقافي بين الفاعلين الاجتماعيين الزبائن/الباعة. بحيث تمثل الأسواق نتاج ثقافة محلية ومؤسسة اقتصادية واجتماعية وثقافية، يتم فيها تبادل كل ما هو محلي بمجتمعات المنطقة وما له علاقة بتلك المعارف والمهارات المتوارثة بين الأجيال، بحيث تظهر هذه المعارف على شكل تراث ثقافي يباع في الأسواق الشعبية يعكس ثقافة المنطقة وهويتها وتاريخها. لذا من خلال تطبيق المنهج الإثنوغرافي يمكن التعرف على هذه الدلالات وتصورات الساكنة المحلية للعالم المحيط بهم.

تمّ التركيز على هذه الأسواق لأنها أسواق قديمة الوجود في المنطقة تعود لنهايات القرن 19، بالتالي هي تحمل من التاريخ والذاكرة والمعارف التقليدية وعناصر التراث الثقافي ما لا تحمله غيرها من الأسواق الشعبية الأخرى التي تركز على بيع ما هو حديث بشكل أكبر. ولفهم هذه القيمة التاريخية والثقافية والرمزية لهذه الأسواق وعلاقتها مع التراث المعروض ضمنها، تم توظيف كل من الملاحظة بالمعايشة لكشف العلاقة الموجودة بين ثلاث وحدات أساسية (الأسواق الشعبية، التراث الثقافي، ساكنة الوادي الأبيض). فالفاعلون الاجتماعيون هم القادرون على توضيح العلاقة التبادلية بين الأسواق والتراث من خلال ممارساتهم وتفاعلاتهم ضمن هذه الفضاءات.

وللتعرف على تصورات الأفراد اتجاه هذه الأسواق وعناصر التراث التي تباع فيها ضمن تبادل اقتصادي وثقافي، تم اعتماد المقابلة المفتوحة الفردية والجماعية مع 15 مبحوث من التجار والزبائن داخل الأسواق الشعبية. منهم 06 تجار متواجدين بشكل مستمر في هذه الأسواق و 09 زبائن. تم اختيار التجار كبار السن وذوي الخبرة في الأسواق، والمهتمين ببيع السلع التراثية كالخرف اليدوية واللباس التقليدي، والمنتجات التقليدية الموجهة للعمل الفلاحي، وتاجر وحيد يبيع الأعشاب الطبية؛ هذا لقدرتهم على فهم المعاني الثقافية لهذه السلع المادية. أما الزبائن فتم اختيارهم بناء على معرفتهم بالسوق وارتياحهم المستمر لها، وميلهم نحو اقتناء المنتجات التراثية، بحيث لا يزالون يستعملونها في حياتهم اليومية أو يمارسونها في الجانب العلاجي أو الغذائي أو اللباس أو العمل الفلاحي. كما تم تحليل كل البيانات المجمعة بمقاربة بنائية وظيفية لفهم الوظيفة العلائقية بين الأسواق الشعبية ودورها في حفظ التراث الثقافي، وبين دور التراث في ديناميكية الأسواق الشعبية. وما ينجر عن ذلك في استمراريتهما وحضورهما الدائم.

كما تم توظيف أداة الهاتف النقال في تسجيل بعض الملاحظات والمقابلات التي سمح لي بعض المبحوثين بتسجيلها. إضافة للإعتماد عليه في التصوير الفوتوغرافي لبعض المنتجات التراثية المباعة في الأسواق الشعبية ذات الاهتمام الواسع من الساكنة المحلية. وبعض الصور الأخرى ملتقطة للأسواق بشكل عام، كونها أسواق تقام في شوارع المدينة ولا تملك مكانا مخصصا لها.

2. مفاهيم الدراسة

1. مفهوم السوق:

تعد الأسواق الشعبية أحد المؤسسات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية الفاعلة في البناء الاجتماعي للمجتمعات المتواجدة بها، فكلما السوق تقابلها بالفرنسية (Merché)، وللتأكيد على سوق شعبي يستخدم مصطلح (Souk)، والتي أصبحت فيما بعد (بازار)، ويرجع أصلها إلى الكلمة اليونانية (Mercatus) التي تعني القيام بالتبادلات التجارية (ميداني، 2022)، أو (Merx) و (Mercis) أي البضائع (ميداني، 2022). فالسوق: "معدات تتميز بتعدد الأنواع، سواء في الممارسات أو في التنظيم المكاني،



واتخذت عبر البلدان والحضارات عدة أشكال من التنظيم..." (Feninekh, 2001) وهو فضاء عام يلتقي فيها الشاري مع البائع وتتوسط بينهما سلعة قابلة للتبادل. أما الأنثروبولوجي "سليم درنوني" فقد أورد أن السوق الشعبي: "مكان وتجمع تجاري تقليدي يعبر عن عادات وتقاليد المنطقة التي يتواجد فيها السوق...إلا أنها قد تسمى باسم أحد أيام الأسبوع ليكون المزاد العلني أو الحراج على بعض البضائع القادمة من خارج المدينة في ذلك اليوم" (درنوني، 2013)، فالسوق إذا يتخذ عدة تسميات حسب الأيام، أو الموسم الذي يقام فيه أو المنطقة، أو على أحد الأولياء الصالحين، "ويتكون من تجمع عدد من الوحدات...لا تشكل حاجزا بين البائع والمشتري نظرا لإنخفاضها وامتلائها بالمواد المعروضة تكون فيه علاقة الشخص السائر في السوق مباشرة مع البضائع" (علاوة ومحفوظي، 2018). إذا فالسوق الشعبي هو ذلك الفضاء الحامل لإسم معين والمنعقد في موعد محدد معروف من قبل أفراد المجتمع، يلتقي فيه الناس بغرض التبادل المادي (سلعة/سلعة)، (سلعة/مال)، أو التبادل الاجتماعي والثقافي الذي ينشئ شريطة التفاعل بين الفاعلين ضمن أرجاء السوق.

2.2. التراث الثقافي:

يعمل التراث على المحافظة على إرث الماضي المتبقي من الأجداد والمتناقل عن طريق التواتر جيلا عن جيل، أبا عن جد، وهو كل ما خلفه السابقون وحافظ عليه اللاحقون، بالإنجليزية (Heritage)، وبالفرنسية (Patrimoine) التي تعني الإرث؛ والتراث هو النقل بالوراثة، أو انتقال الشيء إلى الوريث، وفي غالب الأحيان يطلق على كل عناصر الثقافة، التي تنتقل من جيل لآخر (خبزاي، 2017). لكن مع ديناميكية التراث المستمرة، فهو لا يكتفي بأخذ معنى انتقال الممتلكات من ملكية لملكية، خاصة أن مفهوم (Heritage) يستند إلى رؤية عمودية تقتصر على ما يتم نقله، بينما تشير في حالة (Patrimoine) على معنى أكثر اجتماعية برؤية أفقية ذات بعد أوسع تذهب أبعد من مجرد ميراث بسيط (Vecco, 2010)، ليظهر بعدها مصطلح "التراث الثقافي" مع اهتمام اليونيسكو بموضوع التراث العالمي وتراث الشعوب.

ينقسم التراث الثقافي لقسمين رئيسيين: تراث ثقافي مادي ويعنى بالثقافة المادية، يضم كلا من: "الممتلكات المنقولة والثابتة، مواقع أو مجموعات، هياكل، سمات وخصائص طبيعية، مناظر طبيعية ذات قيمة أثرية أو حفريّة أو تاريخية أو معمارية أو دينية، أو جمالية أو غيرها من القيم الثقافية" (حميدة، 2019). ثم قسم التراث الثقافي اللامادي الذي يعبر عن كل ماهو رمزي له قيمة ومعنى، حيث يتجلى في "كافة المظاهر غير المادية وغير الملموسة لمختلف تشكيلات وتنوعات التراث الإنساني، باعتباره الثقافي الممارس الحي والمنتقل عبر الأجيال من خلال حاملي وممارسي عناصره الأساسية، فهو مرتبط بشكل مباشر بهوية مبدعيه" (معلا، 2017).

3. علاقة التراث الثقافي بالأنثروبولوجيا:

تعددت أنواع التراث الثقافي نتيجة طبيعته الهلامية التي جعلته يلبس عدة معاني وتعريفات، وزاد ارتباطه بالإنسان من ترشيحه للدخول ضمن اهتمامات الأنثروبولوجيا، فعلى حد قول (مالينوفسكي) لوصفه للإنسان أنثروبولوجيا بأنه: "كائن له شكله الفيزيقي، وتراثه الاجتماعي، وسماته الثقافية" (أوشاطر، 2020)، فالإنسان هو الكائن الوحيد القادر على إنتاج الثقافة وتناقلها عبر الأجيال اللاحقة، فهو ينسج خيوطا ثقافية حوله في إطار مجتمعه، الأمر الذي يساعده في الإرتباط والتعلق بمخرجاته الثقافية، واتخاذها كإرث جماعي هوياتي يعرف به عن نفسه. حيث حاولت الإناسة عبر أوائل الأنثروبولوجيين دراسة مخلفات الإنسان البدائي أو البسيط، بين ما هو مادي ومعنوي، ومحاولة فهم تصوراته وكيفية تفكيره، وأنماط عيشه، أو ما يعرف بالثقافة الشعبية، ثم جمع أكبر مادة إثنوغرافية ممكنة حول هذه البقايا الثقافية التي تعد في واقعها تراثا ثقافيا يعنى به عالم متشابك من الموروث الحضاري والبقايا السلوكية والقولية التي بقيت عبر التاريخ (جادي وبوشلاق، 2019)، إلا إن الأمر لم يقتصر على المجتمعات البسيطة في الإنتاج الثقافي فقط، بل حتى المجتمعات المتحضرة -منذ اكتشاف الكتابة- كانت قادرة على ترك عديد العناصر التراثية، وتمسكت بها الأجيال القادمة وحافظت عليها، وقامت بإعادة إحيائها وممارستها، كل مجتمع حسب ما يعنيه له، فكل مجتمع ثقافي ينفرد بشخصية ذاتية مستقلة تتشكل من وحدات متماسكة بالقدر الذي يميزها عن الوحدات الأخرى، وقد أكد

علماء الأنثروبولوجيا أن الثقافة مسؤولة عن الجزء الأكبر من محتوى أي شخصية (الجوهري، 2006)، وبالتالي يمكننا دراسة التراث الثقافي فهم الطابع القومي والأنماط السلوكية لشعب معين.

إن وعي الأنثروبولوجيا بضرورة دراسة التراث الثقافي كان بفضل علاقته التفاعلية مع الإنسان وبين تاريخه وحاضره بجمعهما في وعاء يحمل بين جنباته مجموع المحصلة الثقافية الإنسانية، فالتراث يعد تجسيرا توصليا بين ماضي الشعوب وواقعها، ودفعة معرفية في بناء مستقبلها، فاهتمام الأنثروبولوجيا بكل ما له علاقة بالإنسان إضافة للعلاقة المتبادلة بين الإنسان والتراث، أهله ليكون ضمن دائرة المواضيع الأنثروبولوجية، خاصة مع قدرتها على الغوص في أعماق التراث الثقافي واستخراج المعاني الحقيقية لهذه الرموز الثقافية لإيجادتها التعامل بنسبية مع تنوع الثقافات واختلاف نتائجها، وقد أيد (محمد أركون) ضرورة استعمال المنهج الأنثروبولوجي في قراءة وفهم التراث لكونه العلم القادر على فك الشفرات والقيود عن الثقافات المختلفة، والتفكير على نطاق أوسع بعيدا عن الفهم الدوغمائي، مستدلا بذلك استعماله للأنثروبولوجيا في فهم مقاصد ورموز الدين الإسلامي، إذ على حد قوله في دفاعه عن أهمية الأنثروبولوجيا في تفكيك التراث الثقافي: "هل هناك من سبيل علمي للتعرف على هذا الإسلام حتى يجمع عليه العلماء؟ أم يجب العدول لأول مرة عن النظرية التقليدية ونقر بضرورة التعددية العقائدية...والنصوص القرآنية قد ألهمت ولا تزال تلهم تأويلات متغيرة بتغير الزمان والمكان...كما هو شأن كل نص غزير المعاني قصصي البنية رمزي المقاصد" (أوشاطر، 2020)، وبهذا يقر (محمد أركون) بأن المنهج الأنثروبولوجي الوحيد الذي يمكنه التعامل مع تعددية الرموز الثقافية من خلال تفكيكها وتأويلها واستنتاج مقاصدها.

4. أنثروبولوجيا السوق بين ثنائية (الإقتصاد/الثقافة):

ركزت الدراسات المهمة بفهم الأسواق على اعتبارها جزء من النظام الإقتصادي، مع تتبع الأشكال والتحويلات الإقتصادية فقط، والتركيز على الأنظمة الإقتصادية الشائعة في هذه الأسواق الشعبية، إما اقطاعية أو اشتراكية أو رأسمالية، وما هي إلا حلقة واحدة من السلسلة الإقتصادية من السوق الوطني. لهذا لم تكن الأسواق

الشعبية محل الإهتمام الأنثروبولوجي التي ارتكزت مواضيعها الأولى حول القرابة والدين، ودراسة ثقافة المجتمعات البسيطة، والبحث في المواضيع التي تمتاز ممارساتها بفروقات واختلافات بين المجتمعات البسيطة والمعقدة. حيث لم تكن تعتبر الأسواق الشعبية في نظر الأنثروبولوجيا ظاهرة ثقافية أو اجتماعية تستحق الدراسة، لغيب تلك الاختلافات الواضحة بين مختلف الإثنيات، فالسوق كان ينظر إليه على أساس أنه فضاء للتبادل وإشباع الحاجات البيولوجية. لكن منذ ظهور فرع الأنثروبولوجيا الإقتصادية وبداية اهتمام الأنثروبولوجيين بدراسة الإقتصاد السياسي الكلاسيكي (بوحسون، 2017)، ومحاولة معرفة كيفيات رفاهية الشعوب وقدرتهم على القيام بالعمليات التبادلية والإقتصادية بشكل منظم. عاد التركيز على الأسواق الشعبية خاصة عند المجتمعات الريفية وشبه الحضرية، التي تعتمد بشكل أكبر على ملكية الأراضي في الإنتاج والتوزيع والتبادل ضمن نطاق الأسواق الشعبية، إذ يرى "وليام بيتي" أن الأرض والعمل مهمين في عملية التبادل، فالعمل هو الأب المحرك والأرض هي الأم (بوحسون، 2017)، ثم توالى بعدها معسكرات نظرية متعددة في الأنثروبولوجيا الإقتصادية، بين الجوهريين، الشكليين، الماركسيين، الذين اختلفوا في رؤيتهم للإقتصاد عموماً والسوق خاصة، ولكن اجتمعوا في تنظيرهم الشمولي بالتركيز على أن السوق يدرس من ناحية الملكية العقارية، الإنتاج والتوزيع.

إن ولوج الإقتصاد كموضوع بحث في الأنثروبولوجيا أدى للتركيز على عمليات التبادل التي تحدث ضمن فضاءات الأسواق، فأغفال الجانب السوسيوي ثقافي للسوق كان خطأ كبيراً وقعت فيه المعسكرات النظرية الأولى، كون السوق الشعبي ليس مكاناً للتبادل المادي المنفعي فقط؛ وقد عرف من قبل الأنثروبولوجيين "فيليب لابورت، جان فارنبييه" بأن: "السوق ليس حقيقة قائمة بذاتها، إنه مكان التقاء العرض والطلب والمبادلات، وهو مكان لقاء بين البشر والمهتمين... والتعاكس هو سلسلة من التفاعل بين المساهمين والإنتاج في النهاية" (لابورت تولرا وفارنبييه، 2004)، فهذا التفاعل يحدث في إطار نسق تبادلي بين عناصر السوق المختلفة التي حددها هذان الباحثان ب: (الأفراد المسؤولة عن

العرض، والجماعة المهتمة بالطلب، وعلاقة التبادل بين الفئتين)، بغض النظر عن ماهية الشيء المعروض أو مقابل هذا التبادل سواء كان: رمزي، نقدي، أو بالمقايضة. يتضمن الإرث الأنثروبولوجي مجموعة من الدراسات المعنية بالتبادل والأسواق، فقد ذهب "مارسل موس" لدراسة شكل التبادل القديم ضمن ثلاثية (العطاء، القبول، ورد الهبة) في كل من قبائل "بولينيزيا وميلانيزيا" في جزر المحيط الهادي وشمال الغرب الأمريكي (عباس، 2015)، أين توصل فيه لنظام البوتلاش ووظيفته كسوق لتبادل الهدايا والحفاظ على التماسك الاجتماعي والاستقرار الطبقي، وأساسه روح الهدية أو ما سماه (هاو-وبالإنجليزية Hau). ثم تبعته دراسة "مالينوفسكي" لنظام تبادل الهدايا في جزر "تروبرياندا" في المحيط الهادي، الذي إكتشف فيه "نظام الكولا" الشبيه في عناصره بمفهوم السوق الشعبي، حيث يتم تبادل بعض الهدايا المادية ذات القيمة الرمزية والوظيفة المجتمعية بين هذه القبائل في أماكن محددة، ويكون التبادل بهدايا مساوية للقيمة أو أكثر منها، فهو سوق الجملة إذا وقد يتخلله تبادل تجاري من خلال مقايضة فرعية لبعض الحاجات الضرورية في تجارة التجزئة (lamtur, 2013) من خلال تلك المراسيم الاحتفالية والطقوس المصاحبة لهذا النظام. ورغم محاولة "مالينوفسكي" لتجريد هذا النظام من جانبه المادي النفعي إلا أن "إدموند ليتش" قد تساءل عن سبب استمرار هذا النظام إن لم تكن فيه منفعة اقتصادية ومادية (عباس، 2015)، وبالتالي فالسوق يضم التبادل المادي المنفعي، ويعدّ في أصله ثقافة لها عناصرها وسماتها ومميزاتها.

ثم ظهر الاتجاه التأويلي الذي تزعمه "غيرتز"، وركز من خلاله على دراسة الأسواق الشعبية من خلال الرموز الثقافية التي تنشأ نتيجة التفاعل بين مختلف عناصر السوق وأفراد المجتمع لمحاولة لفهم معاني تلك الرموز ومدى إدراكهم للممارسات التي يمارسونها في إطار السوق الشعبي، وعلاقتها بالإيكولوجيا المحيطة بهذا الفضاء. كانت لدراسة "غيرتز" لسوق صفرو الأثر البالغ للخروج من الإيديولوجية الوظيفية والبنوية السائدة في الأبحاث الأنثروبولوجية، بإثباته أن السوق مؤسسة ثقافية واجتماعية واقتصادية، يجمع بين الديناميكية والإستاتيكية، بل "نظام مميز للعلاقات الاجتماعية المتمحورة حول إنتاج واستهلاك السلع والخدمات كنوع معين من الإقتصاد الذي يستحق التحليل على هذا

النحو" (Lawrence, 2022) فقد أظهر "غيرتز" من خلال سوق "صفرو" مستوى معين لتحديد الهويات الاجتماعية يبرز عبر نظام الإنتساب سواء: العائلة، القبيلة، العرش، الزاوية، الإيكولوجيا... إلخ، وساهم في نشوءه وقوع السوق في مجال ثقافي تبادلي بين مجموعة من القبائل العربية والأمازيغية وقلة يهودية، ولدت عوالم متميزة داخل السوق تتفاعل مع بعضها في ترابط متعدد، عميق ومعقد (Geertz, Geertz, & Lawrence, 1979)، بل أكد "غيرتز" أيضا أن الثقافي جزء لا يتجزأ من الإقتصادي والإجتماعي، فالسوق الشعبي مركب من الثلاثة جميعا بشكل متماهي لا يمكن فصلها.

4. اثنوغرافية الأسواق الشعبية في منطقة الوادي الأبيض:

تتميز منطقة الوادي الأبيض الواقعة في قلب الأوراس جنوب ولاية باتنة، بمناخ حار جاف صيفا وبارد ممطر شتاء، أما طبيعة المنطقة فهي منطقة جبلية وعرة، تنتشر فيها المجتمعات الشاوية التي دخلت في صراع مع قساوة هذه الطبيعة من أجل البقاء، ومن أهم الأعراس المتواجدة في المنطقة هم: (أولاد داود، أولاد بوسليمان، أولاد عبدي، أولاد ساعد، أولاد عائشة، عرش غسيرة... إلخ)، حيث تتمتع المنطقة بتنوع النباتات والأشجار التي تنمو فيها، ويؤثر المناخ على نبات ثمار معينة على حساب أخرى (كالفتاح، المشمش، الرمان، البلوط، الخوخ... إلخ) وبعض الخضار (كالبطاطا، الفلفل، الفول، الطماطم... إلخ)، إذ تدخل هذه المنتجات بشكل رئيسي في مختلف شؤون الحياة الاجتماعية لمجتمعات المنطقة.

1.4. اثنوغرافية سوق عيد الخريف

سوق عيد الخريف سوق موسمي ينعقد مرة كل بداية فصل خريف بولاية باتنة، وبالتحديد بتكوت القديمة، ثم تم تغيير موقعه ليقام في شوارع مدينة تكوت مقابلا لمقرا البلدية التي أصبحت تسهر على تنظيمه، وسمي عيدا لكونه يحمل قيمة رمزية يحتفل من خلالها مجتمعات المنطقة بنضوج المنتج المحلي، بحيث لا يستحب تناول أي منها إلا مع انعقاد السوق للحفاظ على حرمة وقيمته؛ وأشارت Tillion Germain، أن شهرته وصلت للمناطق الجنوبية كوادي ريف، الحضنة، المناطق التلية والهضاب (درنوني، 2013)، كما

يستقطب العديد من الرواد من تاجر ومشتري وسائح، وحدّد تاريخ انعقاده بنهاية فترة "السامث" من العام الفلاحي من 14 غوشت/27 أوت، ليستمر طيلة 03 أيام.

إذ أن الهدف الرئيسي منه حسب ما أورده أهل المنطقة هو إحياء وتقديس لضريح "سيدي عبد السلام" المتواجد قرب مكان سوق الخريف، حيث تقام فيه الزردة وتؤدي الصلاة قرب الضريح، ولا يزال العديد من الأفراد يزورون هذا الضريح يوم انعقاد السوق، فهذا الأخير ظهر نتيجة تلك المبادلات التي كانت تقام على هامش الزيارة للضريح، والتي تحولت فيما بعد لسوق عيد الخريف حالي لتراجع التبرك عند الأولياء بشكل عام في منطقة الوادي الأبيض وخصوصا الجيل الحالي من الشباب بعد التعليم وزيادة الوعي المجتمعي، فقد أورد "إرنست غيلنز" في مقاله "المغرب مرآة للإنسان" أن: "السوق أيضا عبارة عن موسم يضمه ولي وضريح يقوم السوق في حرمة، والذين يأتون للسوق يأتون لأجل متع الحياة وليس لرفضها" (درنوني، 2018). كما يعد سوق عيد الخريف مناسبة اجتماعية تاريخية لحل النزاعات بين المتخاصمين القادمين للسوق من مختلف الأقطاب، حيث يقام مجلس يحضره كبار عرش آيث بوسليمان يناقشون فيها مختلف القضايا الاجتماعية للسكان من نزاعات حول الأملاك (أراضي، مسكن)، أو خلافات الأزواج، قتل، ضرب...إلخ.

بعد الإنتهاء من معالج هذه القضايا يقومون كذلك بمناقشة عديد القضايا الاجتماعية الأخرى المتعلقة بالعرش كمهر الزواج خاصة، أو الدعوة لمعالجة مريض أو القيام بأعمال تضامنية لفائدة العرش والمدينة التي يسكنونها. وفي نهاية السوق يتم إقامة مسابقات ثقافية للصغار، وحفلات غنائية لفنانين شاوية معروفين في المنطقة، لإحياء الأغنية الشاوية مثل "مهبوب، عميروش، أمناي، عبد الجمال صبري وآخرون".

2.4. اثنوغرافية سوق الثلاثاء:

سوق الثلاثاء سوق أسبوعي ينعقد بمدينة "اشمول" وهي دائرة تابعة لولاية باتنة إداريا، تقع في الحوض الأوسط من الوادي الأبيض، وأقيم السوق لأول مرة في الجهة العلوية من المدينة، ثم في وقت لاحق تم تغيير مكانه للموقع الحالي في وسط المدينة، ويرجع عدد من المبحوثين أنه قد أقيم في فترة الإستعمار. يتخذ من شوارع المدينة مجالا له، حيث يقوم التجار ببسط سلعهم على جانبي الطريق الرئيسي قرب محطة المسافرين، ليستمر

امتداده للجانب العلوي من المدينة على طول الطريق للدشرة العلوية، أين يتخذ الباعة أماكنهم المخصصة لهم عن طريق عقد اجتماعي بين بعضهم البعض.

يمتاز السوق بمبدأ الاستيعاب، إذ يستقبل كل القادمين لزيارته سواء من أعراش الوادي الأبيض أو من المناطق القريبة الأخرى، فتكون المناداة فيه بالعربية أو الشاوية مثل: "أيا ما بقاش، سلعة وسومة"... إلخ. مما ينجر عن هذا التفاعل عمليات نقل ثقافي واجتماعي في عديد المظاهر والتقاليد، ويشهد هيمنة ذكورية في مختلف وحداته (باعة/زبائن)، حيث أفادنا المبحوثين أنه في فترة سابقة كان يمنع على النساء دخول السوق نهائيا.

يختص السوق في كل ما هو فلاحي وزراعي مع بيع بعض التجار لملابس الكبار والصغار، وتعدد البضاعة المعروضة وتنوع بين أغذية الماشية، وبيع الأشجار المثمرة الجاهزة للغرس (التفاح، الإجاص، العنب، الخوخ...)، وكذلك بيع المنتج المحلي من الخضر والفواكه الذي يكثر عليه الطلب لتمسك الأفراد بهويتهم المكانية. فكثيرا ما يطرح الشاري على البائع سؤال: (طماطم نتمورث، البطاطا نتمورث؟...) بمعنى هل الطماطم والبطاطا منتج محلي؟ ويلعب الرابط الاجتماعي دورا كبيرا في تحقيق المبادلات، كما يعد فرصة مناسبة لتجديد العلاقات الاجتماعية، كونه يستقطب كل فئات المجتمع باعتباره فضاء اجتماعيا مفتوحا للجميع. كما أن كثافة التفاعل فيها عالية سواء على المستوى العمودي (بائع/مشتري)، أو الأفقي (تاجر/تاجر - متسوق/متسوق)، وينتج عن ذلك تبادل اقتصادي واجتماعي، وحتى ثقافي من خلال تلك التجمعات البسيطة في محلات الشواء أو الفول أو البيض كماكولات شائعة في هذه الأسواق وتراث ثقافي رمزي للفاعلين الاجتماعيين.

5. علاقة الأسواق الشعبية بالتراث الثقافي:

تظهر علاقة الأسواق الشعبية (الخريف-الثلاثاء) بالتراث الثقافي عن طريق تقمص الأول لدور المتحف الإثنوغرافي، فإذا كانت المتاحف الإثنوغرافية تقوم بعرض مختلف العناصر الثقافية التراثية ضمن فضاءاتها المخصصة لكل السياح والقادمين لزيارة المتاحف، مع وجود عمال مهمتهم تقديم بطاقة تعريفية للزوار بكل عنصر، (بإبراز قيمته، تاريخه، وظيفته، اسمه، لأي مجتمع ينتهي)، وهذا يتم غرس روح الشعور والانتماء للتراث، والتنشئة عليه والتوعية بأهميته. فبالمقارنة مع الأسواق الشعبية ومن خلال البحث

الميداني تبين أنها تقوم بنفس الوظيفة تقريبا، بالرغم من حضور عدة سلع حديثة، إلا أنه لا يزال يعرض في سوق الخريف والثلاثاء مجموعة من العناصر التراثية التي تزواج بين الأصالة والحداثة، وتعكس تاريخ وثقافة منطقة الوادي الأبيض، ويقوم البائع بدور التعريف بكل عنصر تراثي يبيعه وبوظيفته، أين يكتسب المتسوق معرفة بهذا التراث ومن جهة يساهم في استمراره عن طريق الشراء والتفاعل المستمر معه ما يرسخ في عقله أهمية التراث والمنتج المحلي باعتباره جزءا من ثقافته وهويته، ومن جهة تقوم الأسواق بالتعريف بالتراث المحلي في منطقة الوادي الأبيض للقادمين من خارج المنطقة أو السياح القادمين لاستكشاف ثقافة المنطقة. ومن أهم عناصر التراث الثقافي المعروضة في الأسواق ما يلي:

1.5. الحرف اليدوية:

تعد الحرف اليدوية والصناعات التقليدية نتاج ثقافة ممتدة في عبق التاريخ، إذ يتميز كل مجتمع ومنطقة ثقافية بمنتجات حرفية مميزة لها تختلف عن سواها، إذ يؤكد "ابن خلدون" على أن "العلوم والصنائع هما نتيجة الفكر" (سلسلة الفنون، 2006)، فالحرف إذا تراث ثقافي مرتبطة بالفكر الشائع لدى جماعة معينة وتعكس تلك الرغبات الوجدانية والشعور الاجتماعي، وتحدث عن طريق الإكتساب لا الصدفة، ثم التكرار والمهارة واكتساب الخبرة المناسبة لإتقانها، فجعلت الصنائع مع الكسب لأنها تنتهي إليه في بعض الجوانب وفي العمران (سلسلة الفنون 06 ، 2006)، إذ أن المنفعة المادية تصاحب الحضارة والثقافة وليست مستقلة عنها داخل الأسواق الشعبية.

يتميز سوق الثلاثاء بكثرة الحرف التقليدية الوظيفية فيه، حيث يشكل الحرفيون تنظيم جماعي دخل الأسواق، ويقومون ببيع منتجاتهم الحرفية، كالأواني الفخارية ذات الإستعمال الوظيفي لحفظ الماء، الغذاء، الطهي، (الجرة، الطنجرة، الأكواب، الصحون... إلخ)، أو بعض المفروشات التقليدية وبعض الوسائل الفلاحية محلية الصنع، أو تصليح الأحذية وبعض المعدات المنزلية. في حين يختلف الأمر مع سوق عيد الخريف كونه سوق موسمي صار موجه للإحتفال به أكثر من الإستفادة المادية، إذ يضم حرفا يدوية كالموجودة في سوق الثلاثاء، وكذلك لوحات فنية ذات طابع جمالي إبداعي تعكس مجمل التعبيرات

المتعلقة بثقافتهم (بتشيم، 2022)، تؤدي المنتجات الفنية وظيفة التزيين في المنازل أو كتذكارات ثقافية للمهتمين بذلك، والنقوش المرسومة فيها تعبر عن رموز مستوحاة من الثقافة الشعبية، حيث تباع لوحات نحتت على الخشب لتشكيل (سيوف، أواني مزينة، قرون حيوانات...)، وقد أفادنا المبحوث (رقم 1) بذلك بقوله "أمارس حرفة النقش على الخشب منذ الصغر حيث تعلمتها من أحد اقربائي، ثم أصبحت أبدع في نحت ألواح وتصاميم جديدة"، إذ أن الهدف منها إبراز وعكس الثقافة المحلية على شكل تحف فنية مصنوعة بإتقان متناهي. تتميز بسعرها العالي لاستغراقها مدة طويلة لتشكيلها، فتمنحها يتحدد من خلال القيمة الرمزية التي يعطيها لها الزبون، حسب ما قاله المبحوث (رقم 02) "أحب شراء مثل هذه اللوحات والأواني فهي تذكركني بطفولتي وبتاريخنا، كما أنني أفضل استخدام الأواني الفخارية المحلية واعتدت عليها أكثر من غيرها" وهذا ما يبرز تعلق الأفراد بهذا العنصر التراثي الذي أصبح فيه الأسواق الشعبية عامل وصل بين الفرد والتراث.

2.5. المنتجات التقليدية:

هي تلك المخرجات الثقافية المستوردة من السلف والتي كانت تعتبر وسائل مساعدة على التكيف مع إيكولوجية المنطقة وفي نفس الوقت مصبوعة بثقافتهم ومذكرياتهم المعرفية؛ فهي تراث ثقافي يعرض في الأسواق الشعبية محل الدراسة، لكن ما يهم فيها هو الإهتمام القائم من مرتادي السوق على اقتنائها، حيث تحتاج لمهارة مكتسبة من الأباء والأجداد للقيام بها، وهي ذات قيمة رمزية وثقافية، تؤدي وظيفة بيولوجية أو جمالية، وهي:

1.2.5. منتجات متعلقة بثقافة الطعام:

المقصود بها مختلف المخرجات الفلاحية والزراعية مثل التين المجفف، الطماطم المجففة، الفول، القمح المحلي، البهارات، التي تعطي صورة حول طبيعة ثقافة الأكل في هذه المجتمعات، إذ يقول المبحوث (رقم 03) "نقوم بزراعة هذه المنتجات منذ أجيال، فطعامنا ومأكلنا كله من منتجاتنا المحلية، وغرس كل ما يصلح مع مناخنا البارد"، فالطبيعة تعمل كعامل محدد وموجه لعملية الاستهلاك، إذ لا زالت الساكنة المحلية تعتمد في تحضير أطباقها على هذه المنتجات بشكل كبير، والمنتجة محليا والمجففة يدويا، إذ أن تجفيف هذه المنتوجات يعود لتاريخ المنطقة التي لم تشهد تطورا تكنولوجيا، ما جعل عملية

التجفيف ثم التكديس أمرا بالغ الأهمية للحفاظ على صلاحية المنتجات الفلاحية، لتصبح ثقافة غير مادية مترسخة في أذهان العائلة الشاوية. حيث تسمح الأسواق الشعبية بحضور واستكشاف هذه الخبرات المحلية عن طريق البائع/الفلاح الذي يصف أهمية ودور كل مادة فلاحية، وهو ما يسمح باستمرار هذا التراث المعرفي في ثقافة الطهي والأكل. إذ يقوم الأفراد بترحال هوياتي يرتحلون فيه إلى سوق الثلاثاء والخريف لشراؤها وإشباع الفراغ الجسدي والوجداني، فثقافة الطعام في المنطقة كاللوح الزجاجي الذي يمتص الضوء ويحلله، فيمتص مجموعة من الظواهر الثقافية ويعكسها (م. كوينهان، 2013)، وهنا يظهر دور الأسواق الشعبية في إبراز ثقافة المنطقة سواء في الإنتاج الفلاحي المعتمد على خبرات ومعارف محلية متوارثة أو في ثقافة الطهي والطعام المنعكسة من الموروث المحلي لهذه المجتمعات.

2.2.5. منتجات متعلقة بالجسد:

الجسد والنوع الاجتماعي ثنائية مقاربة متناسقة متكاملة، إذ أن الجسد له وظيفة ثقافية تميزه في مجتمعات الوادي الأبيض حسب الجندر، ولكل مجتمع خصوصيته الجندرية لبناء الجسد الذي يعد تخيلا لكنه تخيل فعال وحي ثقافيا، فلا وجود للجسد في حالته الطبيعية، بل يتحدد داخل نسيج المعاني (ميلودي، 2016)، وهذا التحديد الرمزي للجسد لدى الرجل الشاوي أو المرأة الشاوية يظهر من خلال الحلي التقليدية الذي يعنى بالمرأة من أجل التزيين، واللباس التقليدي النسوي كالملحفة والقندورة، المباعة في الأسواق المدروسة، مما يعطي تمثلا واضحا من خلال هذه الأسواق عن ثقافة اللباس النسوي وتزيين الجسد لدى المرأة في المنطقة، خاصة في سوق الخريف الذي يدخله العنصر النسوي على عكس سوق الثلاثاء ذو الهيمنة الذكورية، حيث يفيدنا المبحوث (رقم 04) بقوله "عندي سنوات وأنا أبيع في سوق الخريف، حيث تقوم النساء باقتناء هذا الحلي التقليدي أو اللباس الشاوي التقليدي" وها ما يوضح اهتمام النساء بما هو محلي ومن تراثهم كونه يبرز هويتهم الجماعية.

أما الرجال كنوع اجتماعي فيكثر في الأسواق الشعبية لباس تراثي يميزهم أيضا وهو "القشابية" التي تشتري وتباع بكثرة في سوق الثلاثاء خاصة كونه سوق أسبوعي يقام حتى في

الشتاء عكس سوق الخريف الموسمي، إذ يقول المبحوث (رقم05) وهو تاجر محلي في الأسواق الشعبية "أن اللباس التقليدي لا يزال مطلوباً في الأسواق الشعبية، سواء من عند الرجال والنساء فالقندورة الشاوية والقاشبية أكثرها بيعاً"، ما يعني أن السكان لا يزالون متمسكين بتراثهم الحامل لقيمة رمزية تظهر من خلال معاني كل لباس، فالقشابية مثلاً تراث ثقافي لامادي يعبر عن الرجولة وعن هوية وأصالته الفرد الشاوي، إذ يقول المبحوث (رقم06) "أفضل شراء القشابية في الشتاء كوني اعتدت عليها منذ الصغر وهي لباس الرجال عندنا في الشتاء ولا يمكن الاستغناء عنها"، حيث تعود جذورها لأعوام سابقة حيث كانت تنسج يدوياً داخل المنازل بأدوات تقليدية ومعارف وخبرات محلية، بالتالي تمثل "القطعة المفضلة للتدفئة في الشتاء، ولباس الثوار خاصة،...إضافة لشكلها الذي يمنح هبة ووقاراً لصاحبها...ففي رمز للهمة والقوة" (طاهري و دواح، 2020). وتواجدها في الأسواق الشعبية بشكل دائم يساهم في الحفاظ عليها وانتقالها من جيل لآخر ما يساعد على استدامتها كتراث ثقافي في المنطقة.

3.5. الطب الشعبي:

يعتبر الطب الشعبي موروثاً ثقافياً مهماً في منطقة الشاوية، ويحضر بقوة في الأسواق الشعبية من خلال بيع العشابين المحليين لمختلف الأدوية التقليدية في الأسواق. إذ يعبر عن معارف مكتسبة ومعاني متوارثة بين الأجيال في تحديد نوعية المرض وطرق علاجه يدوياً أو من خلال أعشاب طبية تمكّن المجتمع من معرفة قدرتها العلاجية، ولا يزالون مهتمين بهذا النوع من الطب حيث يشهد إقبالاً كبيراً عليه من الساكنة المحلية والحواضر المجاورة على المعالجة بالأدوية والأعشاب محلية الصنع بدلاً من الأدوية الصيدلانية، كون هذه الثقافة الطبية كان يستعين بها الأجداد للتداوي في القرون الماضية، وكون طبيعة المنطقة جبلية تكثر فيها عديد الأنواع من الأعشاب والنباتات ذات الفائدة الصحية، ما يعني أن الطب الشعبي يمثل دلالة على تغلب الإنسان الشاوي على طبيعته. فبقيت في المخيال الجمعي على أنها أكثر فعالية من باقي الأدوية، وخالية من العوارض الجانبية، إذ يورد "ديفيد ورنر" أن "بعض الوصفات الطبية الشعبية لها تأثير مباشر على الجسم والبعض الآخر يؤثر بمجرد اعتقاد الأفراد بفائدتها" (بولبير وكبار، 2022).

تباع هذه الأدوية المحلية في كل من سوق عيد الخريف وسوق الثلاثاء، ويعنى صاحبها بإحضار مختلف الأعشاب والوصفات العلاجية المعروفة في المجتمعات المحلية، ويكون هذا العشاب على معرفة بالوظيفة الصحية لكل مادة منها وفيما يمكن استخدامها، إذ أفادنا المبحوث (رقم 07) وهو زبون دائم في هذه الأسواق، بقوله "أن الأدوية الشعبية مهمة في العلاج خاصة أنها مصنوعة محليا ونعرف مكوناتها ومفعولها، حيث أجد الكثير منها في السوق الشعبي، على سبيل المثال: مستخلصات طبيعية لعلاج آلام المفاصل، الرقبة، الظهر، الخلعة، عسر الهضم، المعدة... إلخ"، ما يبرز تعددها وتنوعها، ويسهل العثور عليها بمجرد المعجى للسوق الشعبي. فالعلاج الشعبي يكون "فعالاً عندما يكون جزءاً من حصة علاجية طبيعية تحتوي على تعديلات غذائية معينة، وكذلك تحريك الطاقة الذهنية" (بولبير وكبار، 2022)، هذا ما ساهم في انتشار الطب الشعبي في الأسواق، كونها فرصة لزوار الأسواق للتعرف على موروثهم الشعبي وابتاعه ومنهم محافظتهم عليه.

يميل العشاب في السوق لتكوين رباط اجتماعي وبناء جسور الثقة بينه وبين الفاعلين في الأسواق عبر عملية تواصل ثقافي معهم، يعتمد فيها لشرح فوائد كل دواء باللغة المحلية، مع التأكيد على عدم وجود آثار جانبية له، وفي بعض الأحيان يقوم بمعالجة بعضهم أمام المتسوقين الدائرين به ليثبت قدرته الشفائية ومفعول أدويته المحلية. كما أن الدين له إسهام في هذا التوجه، كون الدين الإسلامي يدعو للإعتناء بالصحة، ويعتقد الأفراد أنه سنة من النبي صلى الله عليه وسلم، الذي طالب الناس بالجوء للطب الشعبي، فالصلة الموجودة بين الدين والطب الشعبي أسهمت في جعل هذا التراث الثقافي قائماً ومتداولاً في الأسواق الشعبية التي أدت دوراً كبيراً في تعرف الناس عليها والتنافس نحو تجربته.

بالإضافة لهذه العناصر فإن الأسواق الشعبية تعمل على الحفاظ على العديد من العناصر التراثية الأخرى كالألغاز والحكي الشعبي، والمعارف التقليدية المرتبطة بالماشية وبالفلاحة. والفولكلور الشعبي المرتبط بإقامة سوق عيد الخريف، فتحضر فيه الأغاني الشاوية والألعاب الشعبية على مدى انعقاده، كما أن كثرة كبار السن في الأسواق فرصة لاستدراك ما ضاع من اللغة المحلية ومن التاريخ الشفوي للمنطقة، فهي كلها تراث تجتمع

معا كل أسبوع أو موسم خريف في السوق الشعبي، يلتمسها الأفراد ويمارس بعضها ويعمل على إحيائها واستدامتها.

6. خاتمة:

في الختام تصل الدراسة لكون الأسواق الشعبية لها ثقافة خاصة بها تميزها عن باقي الفضاءات الإقتصادية، كما أنها لها وظيفة تواصلية بين المتسوقين وعناصر التراث المحلي التي تعرض في ثنائياها. وبهذه العلاقة فالأسواق تحافظ على التراث الثقافي للسكان المحلية باعتبار التراث جزءا من هويتهم، خاصة أمام تهديدات العولمة المتواصلة وقلة فرص الإلتقاء بعناصر التراث في الحياة اليومية، كون المحلات العصرية لا تهتم بعرض وبيع المنتجات التراثية. ومن جهة أخرى تقوم الأسواق الشعبية بمهمة التعريف بالتراث لكل القادمين للأسواق من خارج منطقة الوادي الأبيض. فالأسواق الشعبية مرآة عاكسة لثقافة المجتمعات المحيطة به وحافطة للذاكرة التاريخية للمنطقة. أيضا تعمل على تجسير انتقال الأفراد لعبق التاريخ، فسوق الخريف والثلاثاء يحملان في طياتهما أحداثا ثقافية ورمزية بالغة الأهمية لتتبع مسار التطور الثقافي والإجتماعي في المنطقة، كالمقدس المرتبط بنشأة الأسواق أو أساليب وأدوات العيش التقليدية المعروضة في السوق، فإقبال الناس على شراء القشايبة مثلا ليس لنفعيتها فقط بل لكونها تراثا وجزءا من الهوية الثقافية للسكان المحلية، وبالتالي فالأسواق تعزز التمسك بالتراث وبالعناصر الهوية الثقافية. فهي بذلك تتعدى دورها النفعي فقط لتعمل كعارض وحافظ لتراث المنطقة الثقافي بمختلف عناصره.

تتمتع الأسواق الشعبية بقيمة تاريخية ورمزية وثقافية جعلتها جزءا أساسيا من التراث المحلي، وأسست الساكنة المحلية علاقة هوياتية مع هذه الفضاءات، واعتبرتها جزءا من هويتها الثقافية، وحدثا اجتماعيا مرتبطا بالحياة اليومية لأفراد المجتمع. إذ أصبحت أسلوب حياة بالنسبة إليهم، حيث يقوم الأفراد من مختلف مجتمعات المنطقة بتخصيص وقتهم لها في كل أسبوع تنعقد فيها، من أجل زيارتها وشراء نواقصهم وحاجياتهم، وينجر عن هذا التفاعل بين الناس في السوق تبادل اقتصادي من خلال تبادل السلع والبضائع، وثقافي من خلال التواصل اللغوي والقيمة الثقافية التي تنتقل مع هذه السلع التقليدية

التراثية من معارف ومهارات متعلقة بصناعة الحرف أو الطب الشعبي وغيرها. وحتى تبادل اجتماعي من خلال تشكيل وتعزيز العلاقات الاجتماعية بين الفاعلين. في حين يمكن فهم علاقة التراث الثقافي بالأسواق الشعبية من خلال مساهمة التراث الثقافي في استمرار الأسواق. فتمسك الناس بشراء عناصر التراث الثقافي المعروضة في هذه الفضاءات والتي تجتمع في مكان واحد، يجعل من أفراد المجتمع قاصدين الأسواق لرغبتهم في التفرد بهذه الخصوصية الثقافية التي يمنحها التراث الثقافي. ولا يمكن الحصول عليها في فضاء تجاري آخر. كما أصبحت الأسواق مقصدا للسياحة الثقافية لاستكشاف التنوع الثقافي للتراث المنتشر فيها. فالأسواق تقوم بتوفير مشهد صوري لعرض مختلف العناصر والمنتجات الثقافية. والتراث بما يحمله من قيمة هوياتية وتاريخية لأفراد المنطقة يؤدي بالسكان لزيارة الأسواق ومنه استمرارها وديمومتها.

7. قائمة المراجع:

1. أوشاطر، مصطفى. (2020). *أنثروبولوجيا التراث*. (تلمسان-الجزائر): جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان.
2. الجوهري، محمد. (2006). *مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري*. (القاهرة-مصر): مكتبة الأسرة.
3. م. كوينهان، كارول. (2013). *أنثروبولوجيا الطعام والجسد*. (القاهرة-مصر): المركز القومي للترجمة.
4. ميداني، قدور. (2022). *الأسواق في فترة ما بعد تخفيف قيود التباعد الاجتماعي في الجزائر*، مجلة المعيار، العدد 01، المجلد 13، ص 616-630.
<https://asjp.cerist.dz/en/article/192332>
5. لابورت تولرا، فيليب. بيار فارنييه، جان. (2004). *إنثولوجيا أنثروبولوجيا*. (بيروت-لبنان): مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
6. ميلودي، فتيحة. (2016). *تمثلات الجسد واختيار شريك الحياة*، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة محمد بن أحمد وهران 2، الجزائر

7. بولبير، فاروق. كبار، عبد الله. (2022). الطب الشعبي في المجتمع المحلي بمدينة بسكرة: دراسة أنثروبولوجية، مجلة المعيار، العدد02، المجلد26، ص 880-896.
<https://asjp.cerist.dz/en/article/182985>
8. بوشللق، عبد العزيز. جادي، عمر. (2019). عناصر التراث بين الأنثروبولوجيا والأدب الشعبي، مجلة جسور المعرفة، العدد04، المجلد05، ص 491-500.
<https://asjp.cerist.dz/en/article/103481>
9. علاوة، عبلة. محفوظي، عقيلة. (2018). دور الأسواق التراثية في تعزيز التنمية السياحية المستدامة: إثنوغرافيا سوق الخريف، مجلة دراسات فنية، العدد01، المجلد03، ص 28-41.
<https://asjp.cerist.dz/en/article/141243>
10. خبزاوي، عبد الكريم. (2017). التراث اللامادي حمايته وتثمينه وأبعاده المستدامة، مجلة عصور، العدد01، المجلد16، ص 8-26.
<https://asjp.cerist.dz/en/article/133765>
11. معلا، طلال. (2017). التراث الثقافي غير المادي، تراث الشعوب الحي. سلسلة أوراق دمشق(04)، ص 01-32.
12. درنوني، سليم. (2018). من سيدي عبد السلام المشيشي إلى سيدي خالد العبيسي، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد03، المجلد10، ص 651-664.
<https://asjp.cerist.dz/en/article/133226>
13. درنوني، سليم. (2013). مساجد الزوايا والأضرحة بالجزائر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد12، المجلد05، ص 143-159.
<https://asjp.cerist.dz/en/article/20910>
14. سلسلة الفنون 06. (2006). الصنائع والحرف الفنية لدى ابن خلدون. (قابس- تونس): منشورات المعهد العالي للفنون والحرف بقايس.
15. حميدة، سعاد. (2019). عناصر التراث الثقافي الجزائري ومنهجية صونه، مجلة الآداب، العدد01، المجلد19، ص 98-118.
<https://asjp.cerist.dz/en/article/129450>

16. بتشيم، زيدان. (2022). السياحة والحرف التقليدية وأسس التنمية المستدامة في الصحراء الجزائرية. كلية العلوم الاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر.
17. عباس، زهرة. (2015). نظام التبادل عند بعض القبائل البدائية: قراءة في الإرث الأنثروبولوجي، مجلة الحوار الثقافي، العدد 02، المجلد 04، ص 232-235.
<https://asjp.cerist.dz/en/article/101056>
18. بوحسون، العربي. (2017). *الأنثروبولوجيا الاقتصادية*. (تلمسان-الجزائر): النشر الجامعي الجديد طباعة نشر وتوزيع.
19. طاهري، الصديق. دواح، سفيان. (2020). التعريف باللباس التقليدي الجزائري: البرنوس والقشابية بالجلفة أنموذجا، مجلة دراسات في الاقتصاد والتجارة المالية، العدد 01، المجلد 09، ص 123-138.
<https://asjp.cerist.dz/en/article/139671>
20. Geertz, H., Geertz, C., & Lawrence, R. (1979). *Meaning and order in Moroccan society*. (London- England): The Syndics of the Cambridge University.
21. Kheira Feninekh. (2001). L'espace marché: mutation ou résurgence? les cas d'Oran, *insaniyat*, n03, p.127-113
22. lamtur, t. (2013). Kola, the nut which brings peace, joy and life in Nso' society, Cameroon, Faculty of Philosoph, UIT The Arctic University, Norway.
23. Lawrence, R. (2022). *Suq Geertz on the Market*. (Chicago- Usa): Society for Ethnographic Theory (SET).
24. Vecco, M. (2010). A definition of cultural heritage: From the tangible to the intangible, *Journal of Cultural Heritage*, n11, p 321-324



شكل 02 من تصوير الباحث: صورة من سوق
الثلاثاء لبيع أشجار مثمرة محلية



شكل 01 من تصوير الباحث: صورة من سوق
الخريف للغرس مشكل محليا



شكل 04: صورة من افتتاحية سوق
الخريف بتكوت



شكل 03: صورة من سوق الثلاثاء بمدينة
اشمول



شكل 05: صورة من سوق الخريف بمدينة تكوت، يمتد سوق على طول الشارع. الصورة مأخوذة من جيدة باتنة نيوز